مختصر
وأنذرهم يوم الحسرة

جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)

تقديم فضيلة الشيخ
محمد حسان
(أبو أحمد)

مؤسسة قرطبة
٧٧٩٥٠٢٧



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٥٣٢٠/ ٩٧

I. S. B. N.
977-19-5130-0

الناشر
مؤسسة قرطبة
٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت : 012/3811536

*** مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد حسان... حفظه الله**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد.

فإن الحياة تمضى مسرعة.. ومعظم أهلها فى غفلة عما هو آت!! فالدنيا دار ممر. والآخرةُ هى دار المقر.. فمهما طالت الدنيا فهى قصيرة.. ومهما عظمت فهى حقيرة؛ لأن الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر.. ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر!!.. وبعد القبر بعث.. وبعد البعث حشر.. وبعد الحشر حساب.. وبعد الحساب ميزان.. وبعد الميزان صراط وبعد الصراط جنة أو نار!!

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان بالله عز وجل لا تصح عقيدة المؤمن إلا به.. وما من مسلم إلا وهو فى حاجة شديدة لتذكر هذا اليوم فى عصر طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف كثير من الناس عن منهج ربِّ الأرض والسموات.

وبين يديك أخى القارئ هذه الرسالة اللطيفة «وأنذرهم يوم الحسرة» لأخى الكريم/ **محمود المصرى «أبو عمار»** ــ جزاه الله خيرًا ــ تحذّر وتذكّر عسى أن ننتهى عن الذنوب.. وتلين منا القلوب.. وننتبه من الغفلة.. ونغتنم المهلة قبل الوهلة.. أسأل الله أن ينفع بها وأن يختم لنا جميعًا بخاتمة السعادة وألا يحرمنا الزيادة إنه ولى ذلك ومولاه.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أبو أحمد «محمد حسان»
١٨/٦/١٤١٨هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. أما بعد.

فهذه الرسالة التى بين أيديكم هى مختصر لكتابنا «وأنذرهم يوم الحسرة» الذى أكرمنى الله بكتابته ويسّر له القبول بين إخوانى المؤمنين حتى أشار علىّ بعضهم باختصاره، وذلك تيسيرًا لوصوله إلى عامة المسلمين الذين هم فى أشد الحاجة إلى الوقوف على مشاهد الحسرة فى يوم القيامة، عسى أن يفيقوا من تلك الغفلة ويعلموا أن لقاء الله حق فتنصلح أحوالهم ويعودوا إلى منهج الله وإلى شرعه مرة أخرى.

فذكر الآخرة يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس فى جنته التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. . . . فإلى إخوانى وأخواتى تلك الرسالة.

* حال الأمة المسلمة اليوم

إن المتأمل فى حالنا نحن المسلمين اليوم وحال زماننا وما ظهر فيه من الآفات والفتن، وما حصل فيه من تكالب الناس على الدنيا وزُخرفها حتى ظن أهلها أنهم قادرون عليها أو مخلدون فيها ـ إن المتأمل في ذلك ليشعر بالرهبة والإشفاق والخوف

الشديد من عواقب تلك الحالة، فقد قست منا القلوب وتجمدت الدموع داخل العيون، وهُجر كتاب علام الغيوب.

وهبّت رياح المعصية فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا، وطال علينا الأمد فعلا القلوب قسوة، كما قست قلوب أهل الكتاب فهى كالحجارة أو أشد قسوة، وأسأنا فهم الدين الذى هو سر تميزنا وبقائنا فشُغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب، وبالمبنى عن المعنى.

لهذا كله كان لابد من الوقوف على بعض مشاهد الحسرة فى الآخرة، لعل النفوس تستيقظ وتخشع وتذل، فتبادر إلى الحى القيوم فليس هناك أمرٌ هو أشد دفعًا للنفوس إلى فعل الخير من أمر الآخرة، والوقوف بين يدى مَنْ له الأولى والآخرة، فكل ضعف سببه الغفلة عن ذكر الآخرة، ففى ذكر الآخرة سعادة وطمأنينة وسدٌ منيع دون الهم والغم وعدم السكينة.

وذكر اليوم الآخر يطهر القلوب من الحسد والفُرقة والاختلاف، ويهدد الظلمة ليرعووا ويعزى المظلومين ليسكنوا، فالكل سيأخذ حقه لا محالة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩) إنه إنذارٌ وإخبار وتخويف وترهيب ليوم الحسرة حين يُقضى الأمر.

يوم يُجمع الأولون والآخرون فى موقف واحد يُسألون عن أعمالهم، فمن آمن واتبع فسوف يسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ومن تمرد وعصى شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، وخسر نفسه وأهله، وتحسر وندم ندامة تتقطع منها القلوب وتتصدع منها الأفئدة أسفًا.

ومن أجل ذلك فلقد اجتهدت فى جمع بعض المشاهد «وهى قليل من كثير» التى تصور لنا مدى الحسرة التى يجنيها الإنسان فى الدنيا والآخرة على تفريطه فى جنب الله جل وعلا: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦).

والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

(أبو عمار)

* مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة

إن المؤمن حينما يقف أمام تلك الآية العظيمة من كتاب الله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ يعلم أن الحسرة واقعة لا محالة على كل إنسان يوم القيامة مؤمنًا كان أو كافرًا، فالمؤمن يتحسر لأنه لم يزدد من طاعة الله، والكافر يتحسر لأنه لم يؤمن بالله جل وعلا... وها هى بعض مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة.

* فقد محبة الله جل وعلا

ففى الحديث يقول النبى ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم يُنادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القَبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إنى أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم يُنادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض»[1].

فيا لها من حسرة يا عبد الله إن فقدت محبة الله جل وعلا، فإنه من وجد الله فماذا فقد، ومَنْ فقد محبة الله فماذا وجد؟! ويا لها من حسرة أخرى إن لم تفقد محبة الله جل وعلا

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (١٧٠٥).

فحسب بل كنت ممن يبغضهم الله جل وعلا وملائكته والمؤمنون!

* الحسرة على فقد صحبة النبى ﷺ

إنه مما لا شك فيه أنه ما من مسلم فى هذه الحياة إلا ويتمنى أن لو عاش فى عصر النبوة ورأى النبى محمدًا ﷺ، فتلك مكرمة لا تدانيها كل المكارم.

وأعظم المصائب فى الدين (موت النبى ﷺ)؛ لأن المصيبة بموته أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك رضى الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا (فكيف نقول نحن فى أزمنة الفتنة التى نعيشها).

وتالله لو اجتمعت على الإنسان مصائب الدنيا بأسرها من كل حَدَب وصَوب لما كان ذلك يساوى شيئًا من مصيبته فى فقد النبى ﷺ.... قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب»[1].

---

(١) رواه البيهقى عن ابن عباس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).

* نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس

فحسرة الإنسان على ضياع الأوقات بلا منفعة تعود عليه فى دينه ودنياه حسرة شديدة ومريرة، وكذلك حسرته على ضياع صحته وشبابه فى معصية الله جل وعلا بدلاً من أن يغتنم شبابه فى طاعة الله فتلك أيضًا حسرة شديدة، قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»[1].

أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما.

ولذا قال أحد السلف الصالح:

«يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك».

* طلوع الشمس من المغرب

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

ويقول النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا جميعًا فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[2].

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى عن ابن عباس ــ صحيح الجامع (٦٧٧٨).

(٢) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٧٤١٢).

وحقًا إنها حسرة شديدة حينما يريد الإنسان المؤمن أن يزداد فى إيمانه وفى طاعته لله جل وعلا، فلا يستطيع.... ويريد الكافر أن يؤمن فلا يُقبل إيمانه.

* خروج الدابة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢)، وهذه العلامة يراها المؤمنون أيضًا وهى قرينة طلوع الشمس من مغربها وصاحبتها إما أن تسبق طلوع الشمس من مغربها أو يسبقها.

ولعل السبب فى اقترانهما ـ والله أعلم ـ أن إحدى العلامتين يُغلق بطلوعها باب التوبة وتأتى الأخرى فتؤكد غلقه.

فها هى الفرصة سانحة أمامك لتتوب ولترجع إلى علام الغيوب قبل أن تخرج الدابة وأنت لا تدرى فى أى الفريقين ستكون.

مع المؤمنين أم مع الكافرين ـ والفتنة وقتها ستكون شديدة فإننا اليوم لا نعرف المؤمن من الكافر إلا بظاهر الأعمال والأقوال، أما عند نزول الدابة فإنها ستضع علامة للمؤمن على جبهته وعلامة للكافر على أنفه فيتنادى الناس فيما بينهم «يا مؤمن.. يا كافر» فيا لها من فتنة شديدة فقد انكشف المستور وفُضح أهل الكفر والفجور.

روى ابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلو وجه المؤمن بالخاتم، حتى إن أهل الخوان الواحد (المائدة) ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، وهذا يا كافر»(١).

* يتبع الميت ثلاثة

قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثةٌ: أهله وعمله وماله فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»(٢).

عندما تقرأ هذا الحديث تجد نفسك أمام حقيقة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، ألا وهى أنه لا ينفعك إلا عملك الصالح.

فيا صاحب المال ألا تعمّر به قبرك؟ ألا تنقذ به نفسك؟ ألا تعتق به رقبتك من نار جهنم؟ فإن النبى ﷺ قال: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(٣).

ويا من تعتقد نفع الآباء والأجداد والأولياء اعلم يا أخى رحمك الله أنك محاسَب عن نفسك أنت... قال تعالى:

(١) رواه أبو داود الطيالسى وأحمد وابن ماجة كلهم عن حماد بن سلمة عن أبى هريرة.

(٢) متفق عليه عن أنس ـ صحيح الجامع (٨٠١٧).

(٣) متفق عليه عن عدى بن حاتم ـ صحيح الجامع (٥٧٩٨).

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٣ : ١٤) يُقال لك : اقرأ كتابك أنت!!!

فيا أخى الحبيب إذا علمت كل هذا فاسعَ لتعتق رقبتك من النار ولا تنس اليوم الذى يتبعك فيه مالك وأهلك وعملك فيرجع مالك وأهلك ويبقى عملك فأين عملك؟!

*** مشهد السكرات ونداء ملك الموت**

ويا له من مشهد مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍ مقيل.

إنها اللحظة التى يسمع فيها النداء الذى يبشره بالرحمة أو النداء الذى يتوعده بالعذاب.

ولك أن تتخيل أيها الحبيب أن ملك الموت قد دخل عليك الآن وسينادى عليك ويقول: «يا أيتها النفس الـ........» وأنت بين تلك الكربات وتلك الحسرات تسأل نفسك يا تُرى بأى نداء سوف يُنادى علىَّ؟ هل سيقول: يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان؟! أم سيُنادى ويقول: يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب؟!.

فإذا جاءك النداء الأول: (يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى

مغفرة من الله ورضوان) فذاك هو الفوز الذى لا فوز بعده، وتلك هى البشرى التى لا تدانيها الدنيا بما عليها.

وأما إن جاءك النداء الثانى عياذًا بالله (يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب)، فتلك هى الحسرة التى لا تدانيها حسرة فى هذه الدنيا. . إنه الوعيد والعذاب الذى لا ينتهى أبدًا.

قال عطاء بن يسار: إذا كانت ليلة النصف من شعبان دُفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة. قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى.

فهذه الدنيا التى تحرص على جمعها وتبذل الأوقات والساعات فى سبيل جمع حُطامها لو عُرضت عليك (بكل ما فيها من ذهب وفضة وقصور وأنهار وأشجار) عند الموت لقلت بلسان الحال والمقال: لا أريد إلا رحمة الله عز وجل، ولا أريد إلا النجاة من عذاب الله جل وعلا.

*** دخول القبر**

فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفر النار، والعبد إما أن يكون فى نعيم أو فى عذاب.

وكل ذلك يحصل لروحه وبدنه؛ لأن الروح تبقى بعد

مفارقة البدن مُنعّمة أو مُعذبة وتتصل بالبدن ويحصل له معها النعيم أو العذاب.

قال الحبيب ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى فيكون له شُكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: «لو أن الله هدانى فيكون عليه حسرة»(١).

إنها الحسرة الدائمة؛ لأنه أيقن أنه لن يرجع إلى الدنيا فيعمل صالحًا ينجيه من هذا العذاب، ولذا فإنه يصرخ فى القبر ويقول: ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحًا فيما تركت﴾ فيأتيه الجواب الحق: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾، أى ليس لها قيمة؛ لأن الذى قالها ليس له قيمة عند الله جل وعلا: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).

فاحرص يا أخى على أن تملأ قبرك بنور العمل الصالح وبنور القرآن والإحسان إلى الوالدين واليتامى والجيران والمحافظة على الصلوات.

* بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى

(١) رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٤٥١٤).

حتى يبل لحيته، فسُئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى! وتبكى إذا وقفت على قبر؟ فقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[١].

وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت لى؟ . . . وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقرى، يوم أوضع فى قبرى.

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور، فقيل له فى ذلك فقال: أجلس إلى قوم يُذكرونى معادى، وإذا قمت لم يغتابونى.

وقال سفيان: مَن أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حُفر النار. وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرًا، فكان إذا وجد فى قلبه قسوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحًا فيما تركت﴾ يرددها، ثم يرد على نفسه ويقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل.

بل ينبغى أن يستحضر العبد من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز، حين دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة عن عثمان ـ صحيح الجامع (١٦٨٤).

الجهاد والعبادة، فقال له عمر: يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم، ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصُلب من الدبر، وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

* شدائد يوم القيامة

إنها الشدائد التى يلاقيها الناس فى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ (الزمر: ٦٨)، فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب، وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور وظننت أن يوم الفصل بعيد.

قال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ** ﴾ (الأنبياء: ١: ٣).

فعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً» قلت: يا

رسول الله: النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[١].

فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات.... كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم.

إنه اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

(الحج: ١: ٢)

فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من يُنادى فيقول: رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار.... وكل ذلك، ولم يلقوا بعد حسابًا ولا عقابًا فإنك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق؟

وتأمل يوم يقف الناس فى أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاةً عُراةً غُرلاً بلا طعام ولا شراب ولا ظل... يقولون: يا

---

(١) أخرجه مسلم والنسائى عن عائشة رضى الله عنها- صحيح الجامع (٨٠٤٣)

ربنا أين الظل؟ فتقول لهم الملائكةُ: «انطلقوا إلى ظلٍ ذى ثلاث شُعب» فينطلقون فإذا هو ظل النار «لا ظليل ولا يغنى من اللهب إنها ترمى بشررٍ كالقصر».

وفى المقابل يا عبد الله فهناك أصناف من المؤمنين يكونون فى الظل، فقد قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(١).

وهؤلاء السبعة يأكلون من زيادة كبد الحوت، تلك الوجبة التى أعدها لهم الرحمن جل وعلا، وإذا أرادوا الماء شربوا من حوض النبى ﷺ الذى قال عنه «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»(٢).

* مجىء جهنم

قال ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٦٠٣).
(٢) متفق عليه عن ابن عمرو ـ صحيح الجامع (٣١٦١).

وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول: إنى وُكلت بثلاثة... بكل جبارٍ عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»[١].

وقال ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢]، فيا له من مشهد مهيب تتفطر منه القلوب... فإذا جىء بجهنم لا يبقى ملك مُقرب ولا نبى مُرسل إلا جثى على ركبتيه وقال: يارب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** ﴾ (الفجر: ٢١: ٢٤) تأمل معى هذه الحسرة الشديدة لكل من فرّط فى حق الله جل وعلا ــ إذا رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: (يا ليتنى قدمت لحياتى)... كلمة يقولها كل من فرّط فى الصلاة، وكل من عق والديه، وكل من ظلم العباد، وكل من حارب الله جل وعلا، وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسيةً قول الله جل وعلا.

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ**

(١) رواه أحمد والترمذى ــ صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٢) رواه مسلم عن ابن مسعود ــ صحيح الجامع (٨٠٠١).

عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الاحزاب: ٥٩) وناسيةً قول الرسول ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

إنها النار!!! التى أُوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهى الآن سوداء قاتمة!! يصل الحجر إلى قعرها بعد سبعين سنة!!.

* فتنة الأتباع والمتبوعين

إنه مشهد الخزى الذى تتفطر له القلوب المؤمنة، إنها اللحظة الحاسمة التى يتبرأ فيها أهل الطغيان من الأتباع الذى اتبعوهم فى كفرهم وضلالهم.

وكانت البداية فى الحياة الدنيا كما سطرها الله فى كتابه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (العنكبوت: ١٢)، وهذه هى البداية، وهذا هو دأب أهل الضلال

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٣٧٩٩).

فى مكرهم بأهل الإيمان فهم يطلبون منهم أن يتبعوهم فى كفرهم ويعطونهم العهود والمواثيق أنهم سيحملون خطاياهم يوم القيامة «وهذا على سبيل المكر والخداع» فمن تبعهم من المؤمنين فى الدنيا فسوف يذوق الحسرة الدائمة التى لا تنقطع فى الآخرة.

قال تعالى: «وبرزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا» أى قال الأتباع وهم ضعاف الإيمان للكبراء والكفار: «إنا كنا لكم تبعًا» لقد سرنا وراءكم فى كل ما يُغضب الله جل وعلا وما عصينا أمركم أبدًا، بل عصينا الله من أجل أن ترضوا عنا «فهل أنتم مُغنون عنا من عذاب الله من شىء» يسألونهم: هل ستدفعون عنا شيئًا من عذاب الله كما أطعناكم فى سخط الله ﴿**قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ**﴾ (إبراهيم: ٢١).

فيا لها من حسرة شديدة!!!

وفى سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾، أى مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان

الله وجليل قدرته وُجد فى الناس من يتخذ معه سبحانه ندًا يعبده من الأصنام «كحب الله»، أى كحب المؤمنين لله. . . أو كما يحب المشركون الله يحبون أندادهم ﴿والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾، أى أشد فى حبهم لله من حب الكفار للأنداد ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب﴾، أى ولو أن الذين ظلموا بمحبتهم الأنداد كحب الله لو يرون حالهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة ومعاينتهم قوة الله وبطشه وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله ﴿إذ تبرأ الذين أُتبعوا﴾ أى تبرأ السادة والرؤساء وأئمة الكفر ممن تبعهم على الكفر ﴿ورأوا العذاب﴾ يعنى التابعين والمتبوعين ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾

(البقرة: ١٦٧)

ففى هذا المشهد يتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا صالحًا ويتبرأوا من أئمة الكفر، كما تبرأوا منهم فى الآخرة،

ولكن هيهات هيهات ويا لها من حسرة!!!

وما زالت المشاهد تتوالى وتتوالى ـ يقول الحق تبارك وتعالى: «وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار».

فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحى القيوم ولا يملكون لأنفسهم شيئًا ولا يستطيعون وهم يقولون: «إنا كلٌ فيها إن الله قد حكم بين العباد».

فكم من ظالم يردد: ﴿**اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** (١٢) **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ (العنكبوت: ١٢: ١٣).

فالعقلاء بمقالتهم لا يغترون وإن فعلوا فهم فى العذاب والخزى والحسرة يومئذ مشتركون.

وتصور معى يا أخى هذا الجو من الحسرة والخزى والندامة المخيمة على المستضعفين والمستكبرين ـ فالأتباع الضعفاء يتهمون زعماءهم بالحيلولة بينهم وبين الإيمان.... والمستكبرون يقولون لأتباعهم أنتم المجرمون دعوناكم فكنتم مجيبين. فلو رأيتهم إذ

وُقفوا بين يدى ربهم من غير إرادة منهم ولا اختيار ترهقهم ذلة وهم ينتظرون الجزاء!!

يتراجعون فيرجع بعضهم إلى بعضٍ القول ويلوم بعضهم بعضًا ويؤنب بعضهم بعضًا، ويُلقى بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض فيقول أتباع الضلال الذين استُضعفوا لقادة الضلال الذين استكبروا ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾.

يقولونها جاهلين بها صادعين فى وقت لم يكونوا فى الدنيا بقادرين على تلك المواجهة، فكان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام وبيع الحرية التى وهبها الله لهم والكرامة التى منحهم الله إياها.

فاليوم فى تلك الحسرة قد سقطت القيم الزائفة وواجهوا العذاب فهم يقولونها غير خائفين ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ لقد كنتم حائلاً بيننا وبين الإيمان لقد زينتم لنا الفسق والكفران فأنتم المجرمون وبالعذاب أنتم جديرون وله مستحقون...... وفى تلك اللحظات يضيق الذين استكبروا بهم ذرعًا فهم فى البلاء سواء.... وعندها يردون عليهم فى ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾.

الله أكبر!! كانوا فى الدنيا لا يقيمون للضعفاء وزنًا ولا

يأخذون لهم رأيًا ولا يعتبرون لهم وجودًا ولا يحتملون منهم مخالفة أو حتى مناقشة، أما اليوم فى تلك الحسرة فهم يسألونهم فى ذل وحقار: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾.

وهذا اعتراف منهم بأنهم زينوا لهم الإجرام والكفر ولكنهم لم يقهروهم عليه، بل لقد كان الضعفاء مستعدين لقبول هذا الكفر والإجرام.

وتأتى الردود الحاسمة من المستضعفين الذين لم يكونوا فى الدنيا قادرين على أن ينطقوا بكلمة واحدة، ولكن بعد أن سقطت القناعات الزائفة وظهرت الحقائق واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار قالوا: ﴿بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾.

أى أن مكركم لم يفتر ليلاً ولا نهارًا فى الصد عن الهدى فأنتم تزينون لنا الضلال وتشجعوننا على الفساد وتقولون: إنه الحق ثم تقدحون فى الحق وتزعمون أنه باطل فما زال مكركم بنا حتى أغويتمونا وفتنتمونا!!

وتالله يا إخوانى إن صور المكر تتنوع وتتغير من عصر لآخر

ففى وقت نزول القرآن كانت تتخذ أشكالاً من الأشعار فى المنتديات الجاهلية توجه بها التُهم الباطلة لرسول الله ﷺ ومن معه أو لصد الناس عن سماع الحق، أو لإثارة نعرة القوميات والآباء والأجداد، لكن ماذا يساوى هذا المكر بالنسبة للمكر فى زماننا الحاضر، فما يكاد التلفاز وما فيه من الرذيلة يبث على مدى الأربع وعشرين ساعة الرذيلة فى بيوت المسلمين وينهاهم عن كل فضيلة وما يكاد التلفاز يُغلق حتى يأتى دور الفيديو ثم يأتى البث المباشر، ثم المجلة الهابطة والقصة الخليعة، وهكذا ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ ولكننا نسأل أنفسنا هذا السؤال: هل يُعذر المسلم لمعايشة هذا المكر؟!

كلا والله لا يُعذر لأنه هو الذى أتى به إلى بيته واستأنس بكل ما فيه من الرذيلة ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾.

ويرد هؤلاء المستضعفون ﴿بل مكر الليل والنهار﴾.

ومن هنا ندرك أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء إلا براءة بعضهم من بعض لأنه قد علم كل واحد منهم أنه ظالمٌ لنفسه مستحقٌ للعذاب فندم حين لا ينفع الندم وتمنى

أن لو كان على الحق والإيمان ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سبأ: ٣٣)، فقُضى الأمر وسكت الحوار وانتهى الجدل.

فيا مَنْ نسيت أو تناسيت تلك المشاهد ـ اقرأ القرآن ففيه النجاة كل النجاة فهو يحذرك من الوقوع مع أتباع الشيطان ويرغبك فى مصاحبة جند الرحمن الذين يتنعمون فى الجنان حيث يتلذذون بالحور الحسان مع ما يدخره لهم الرحمن من الرضوان، فالنجاة النجاة أو الهلاك والحسرة!!

* الوقوف بين يدى الله (عز وجل)

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته.

فبينما أنت فى أرض المحشر إذ يأتيك النداء: «أين فلان بن فلان» فيُلقى الله فى روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فتُقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر

أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»[١].

فأعظم به من موقف وأعظم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (الحاقة: ١٨).

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضى الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: إى رب أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»[٢].

فيا لها من حسرة شديدة أن يقف الكافر والمنافق فى أرض المحشر أمام كل الخلائق من لدُن آدم إلى قيام الساعة وينادى عليه أمام الخلائق ويقال: هؤلاء الذين كذبوا على الله. بل إن

---

(١) متفق عليه عن عدى بن حاتم ـ صحيح الجامع (٥٧٩٨).

(٢) أخرجه مسلم ـ باب فى النجوى وتقرير العبد بذنوبه ـ كتاب التوبة.

الله جعل لهم هيئة يعرفهم الناس بها ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (الزمر: ٦٠).

* الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجرم كل مَنْ كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل مَنْ عصى الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور: ٢٤). ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥). ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن

يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾

(فصلت: ١٩: ٢٤)

فاتقِ الله يا أخى فى تلك الجوارح ولا تسعَ بها إلى المعاصى، بل اجعلها تعمل فى طاعة الله جل وعلا، فإن الجوارح ستنطق وتتكلم وتخبر بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتُخبر بكل ما حدث على ظهرها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة: ٤: ٥).

ولقد ورد فى الحديث أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها[1].

* * *

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال: حسن صحيح غريب وأورده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٥٤٢).

* تطاير الصحف وهول الميزان وانقسام الناس لثلاثة أقسام

ويا له من مشهد فاصل بين أهل الحق وأهل الباطل.

إنه مشهد استلام الصحف والذى سيتم الفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فالكل يتربص وينتظر وترتعد فرائصه وتنتفض جوارحه ويسأل نفسه: يا ترى هل سآخذها بيمينى أم بشمالى؟! وبينما هو يفكر إذ بالصحيفة تأتى فى يمينه فيصرخ بأعلى صوته ويجرى فى أرض المحشر، وهو يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وتنادى عليه الملائكة وعلى أمثاله من أهل الجنة وتقول: «كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية».

وأما إن كان عياذًا بالله من أهل النار فتقع الصحيفة فى شماله أو من وراء ظهره فيصرخ بأعلى صوته فى حسرة شديدة، ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾، فيأمر الله الملائكة ويقول: ﴿خُذُوهُ

فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

يقول القرطبى: فيبتدره مائة ألف ملك، ثم تُجمع يده إلى عنقه فذلك قوله تعالى: «فغلوه» «ثم الجحيم صلوه»، ثم أدخلوه النار العظيمة المتأججة ليصْلَى حرها، «ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه»، أى ثم أدخلوه فى سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعًا.

قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دُبره وتخرج من حلقه، ثم يُجمع بين ناصيته وقدميه، ثم ينظمونه كما يُنظم الجراد فى العود حين يُشوى.

قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، ولو سقطت حلقة منها على الأرض ما حملها أهل الأرض، ولماتوا جميعًا من نتن ريحها.

يا له من موقف عصيب... يقع الكتاب بين يديك تقلب صفحاته تجد فيه المال الحرام الذى أكلته والزنا الذى فعلته، وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة والغش وشهادة الزور وهجر القرآن وترك الصلاة.

أما عن صفة الميزان:

قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ**

نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥).

والقول فى الموزون على اربعة اوجه:

١ ــ أن الأعمال هى التى توزن وأن أفعال العباد تُجسَّم فتوضع فى الميزان.

٢ ــ أن صحائف الأعمال هى التى تُوزن... يدل على ذلك حديث البطاقة.

٣ ــ أن الموزون ثواب العمل.

٤ ــ أن الموزون هو العامل نفسه.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة؟» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدًا لا يذكر إلا نفسه: إذا وُضعت الموازين ووُزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط»(١).

وعن أنس أنه قال: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق..... سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق..... شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا. وعند خفة كفة الحسنات تُقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار».

فتجهز يا أخى بالعمل الصالح وتجهز للوقوف بين يدى الله عز وجل وراقب الله فى السر والعلن، فإنه سبحانه وتعالى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) من رواية الحسن وإسناده جيد.

يقول عن عباده الصالحين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الملك: ١٢). . . . وفى المقابل فإنه يُخبر عن حال الكفار والمكذبين فيقول: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٠: ٣١)

* الصراط وأهواله

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فى قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ (مريم: ٨٥: ٨٦)، وفى قوله تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٣: ٢٤)، فالناس من بعد هذه الأهوال يُساقون إلى الصراط ــ وهو جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر ــ . فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خفَّ على

صراط الآخرة ونجا. ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر فى أوّل قدم من الصراط وتردى. فتفكّر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كُلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدّته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتنازلهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومُرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مُثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يمينًا وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون فى النار . . . والرسول عليه السلام يقول: «يارب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور

وقلت: هذا ما كنت أخافه فيا ليتنى قدّمت لحياتى! يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً! يا ليتنى كنت ترابًا! يا ليتنى كنت نسيًا منسيًا! يا ليت أمى لم تلدنى! وعند ذلك تختطفك النيران ــ عياذًا بالله ــ وينادى المنادى: ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ** ﴾ (المؤمنون: ١٠٨)، فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم، وإن كنت به مؤمنًا وعنه غافلاً وبالاستعداد له متهاونًا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ــ وإن سلمت ــ فناهيك به هولاً وفزعًا ورعبًا!.

كان أبو سليمان يقول: إذا سمعت الرجل يقول لآخر: بينى وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولا يدرى ما هو، فلو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد. . . . فاستقيموا يا إخوانى على صراط الله المستقيم قبل أن نندم فى يومٍ لا ينفع فيه الندم.

* القنطرة والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا، فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض. فبعد خروجك من تلك الأهوال التى تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة، وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا[1].

أما المظالم على القنطرة فهى بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة فيقتص كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته فيزداد ويرتفع المظلوم درجة فى الجنة ويخسر الظالم درجة فى الجنة، فيا لها من حسرة فإياك ومظالم العباد!!.

* * *

(١) أخرجه البخارى ـ عن أبى سعيد الخدرى ـ كتاب المظالم ـ باب قصاص المظالم (٢٤٤٠).

* دخول فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء

وبعد أن تمر تلك الشدائد والصعاب لا يبقى أمامك إلا دخول الجنة وهنا يدخل النبى ﷺ الجنة ومعه فقراء المهاجرين قبل الأغنياء بنصف يوم أى بخمسمائة عام كما قال النبى ﷺ.

«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»(١).

فيا لها من حسرة على كل من شغل نفسه وعكف طوال عمره على جمع المال، ثم يأتى يوم القيامة فيُحبس عن دخول الجنة خمسمائة عام.

فإذا علمت هذا أيها الأخ الكريم وتيقنت من كل ما سمعت فاحرص على جمع الحسنات والطاعات فهى التجارة الرابحة فى الدنيا والآخرة.

وليس معنى ذلك أن تترك الدنيا ولا تعمل!! ولكن المقصود أن تأخذ من الدنيا ما يغنيك عن سؤال الناس.

دخول طائفة إلى الجنة بغير حساب (والحسرة لغيرهم)

ففى الحديث: «. . . هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون

(١) رواه الترمذى وأحمد عن أبى سعيد ـ صحيح الجامع (٤٢٢٨).

الجنة بغير حساب ولا عذاب. . . . هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»(١).

فيا له من فضل عظيم لكل من حقق التوكل على الله.

فهل جنّدت نفسك يا عبد الله لتكون واحدًا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. . . . والله إنك إن لم تجند نفسك من الآن لزادت حسرتك يوم القيامة عندما يأمر الله عز وجل ملائكته بأن يُدخلوهم الجنة بغير حساب ولا عذاب وأنت لا تدرى ماذا يُفعل بك.

* ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادى منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه، ثم ينادى: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه. . . فيُذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة! خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت ثم قرأ: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضى الأمر وهم فى غفلة (وهؤلاء فى

(١) متفق عليه عن ابن عباس ـ صحيح الجامع (٣٩٩٩).

غفلة أهل الدنيا) وهم لا يؤمنون[١].

* استغاثة أهل النار

وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا. قد شُدت أقدامهم إلى النواصى واسودَّت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يُكبون على وجوههم مغلولين. طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار.

ويُلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يُسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة، فيذكرون عندما كانوا يجيزون الغُصص فى الدنيا بشراب

(١) متفق عليه عن أبى سعيد الخدرى ـ صحيح الجامع (٥٢٢).

فيستغيثون بشراب فيُرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطّع ما فى بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعون خزنة جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (غافر: ٤٩: ٥٠).

قال: فيقولون: «ادعوا مالكًا فيدعون، فيقولون: «يا مالك ليقض علينا ربك» قال: فيجيبهم: ﴿إنكم ماكثون﴾.

قال الأعمش: أُنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام. قال: فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قال: فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٦: ١٠٨).... قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا فى الزفير والحسرة والويل...

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها

أبدًا.... يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (غافر: ١١)، فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (غافر: ١٢)، ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم: ٤٤)، فيقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذى كنا نعمل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر: ٣٧)، ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون: ١٠٦: ١٠٨). فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رضى الله عنه: قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾

(إبراهيم: ٢١) قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقال أحمد بن حرب: إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدًا بين أطباق النار يصيح... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟.

* تحاور أهل الجنة وأهل النار

وتعال معى أخى الكريم لنتأمل سويًا هذا المشهد المثير من مشاهد الآخرة، إنه تحاور أهل الجنة وأهل النار.

فإنه إذا استقر أهل النار فى النار يذوقون عذابها ويشربون من حميمها ويأكلون من زقومها ينادى عليهم أهل الجنة وهم يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظَّالمينَ ﴿٤٤﴾ الَّذينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٤٤: ٥١).

فلا تؤثر الفانى على الباقى ولا تجعل الدنيا تُنسيك الآخرة، واجتهد لفكاك رقبتك من النار قبل يوم الحسرة.

* تلاعُن أهل النار

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحد منهم أن صاحبه كان سببًا في دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذي لا يُخفف عنهم ولا ينتهي أبدًا فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التي ستحدث يوم القيامة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٨: ٣٩).

إنها الحسرة على كل من فرَّط في حق الله وفي شرع الله، وعلى كل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذي جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله ﷺ؟! ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٦٧: ٦٨)

وتتوالى مشاهد الخزى والتلاعن بين أهل النار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٧ : ٤٨).

وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (ص: ٥٥ : ٦١)

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ

عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾

(ص: ٦٢: ٦٤)

وأخيرًا تأمل معى هذا المشهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩: ٣٦).

قال القرطبى رحمه الله: «يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها أُغلقت دونهم فيضحك منهم المؤمنون»[1].

فيا ليتنا نستشعر تلك المشاهد ونعمل ونجتهد فى طاعة الله جل وعلا حتى لا نندم فى يوم الحسرات على ضياع الأوقات فى غير الطاعات.

---

(١) تفسير القرطبى ـ نقلاً من صفوة التفاسير جـ ٣ ـ صـ ٥٣٥.

يقول النبى ﷺ: «يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيه السفن لجرت»(١).

* حجم الكافر فى النار

بل وكيف بك يا عبد الله إذا علمت حجم الكافر فى النار وبشاعة منظره وصورته.

يقول النبى ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد وغِلظ جلده مسيرة ثلاثة»(٢).

وفى رواية: «ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»(٣).

وفى رواية ثالثة: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعًا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده فى النار ما بينى وبين الرَّبذة»(٤).

وفى رواية: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار، وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه من جهنم ما

---

(١) رواه ابن ماجة عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٨٣).

(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٨٨٩).

(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ باب عظم ضرس الكافر فى النار ــ كتاب صفة النار.

(٤) رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٨٩٠).

بين مكة والمدينة»[1].

ولا تعارض بين الروايات فكل واحد على مقدار كفره بالله جل وعلا . . . وهذا الغلظ الشديد للجلد لكى تأكل النار وتلتهم فيه ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ . . . ومجلسهم من جهنم، كما بين مكة والمدينة، فهذا هو حجم الكافر فى النار . . . فنسأل الله أن ينجينا من عذاب جهنم وأن يرزقنا صحبة النبى ﷺ فى الجنة.

* الحرمان من الشفاعة يوم القيامة

ويا لها من حسرة شديدة لكل مَنْ حُرم الشفاعة يوم القيامة، فإن الإنسان لا يخلو من التقصير أو الوقوع فى الذنوب والمعاصى، ولذا فإنه ولا شك أحوج ما يكون يوم القيامة إلى تلك الشفاعة التى سوف نتعرض لها فى تلك السطور بإيجاز شديد لنعلم كيف أن العبد الطائع لله جل وعلا فى حاجة شديدة لمن يشفع له يوم القيامة فما ظنك بحاجة أهل الكبائر لتلك الشفاعة ليخرجوا من النار!!

* أنواع الشفاعات وكيفيتها

قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية رحمه الله:

(١) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٢١١٤).

الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهى العُظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين)... وهى شفاعته فى بدء الحساب.

النوع الثانى والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أُمِر بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

النوع السادس: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته فى عمه أبى طالب.

النوع السابع: شفاعته ﷺ فى استفتاح باب الجنة

وأما النوع الثامن: فقد قال صاحب معارج القبول رحمه الله: «هى شفاعته ﷺ فى أقوام ماتوا على دين الإسلام

وأوبقتهم كثرة الآثام فيشفع لهم النبى ﷺ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة.

* أسباب سقوط العقوبة عن العصاة

إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

فالحسرة كل الحسرة لمن لم يتعرض لتلك الأسباب التى تُسقط عنه العقوبة.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع، فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسُّنَّة»، ثم ذكر منها ما يلى:

السبب الأول: التوبة، فقد قال تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا**

يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (مريم: ٥٩: ٦٠).

السبب الثاني: الاستغفار، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣). والواقع أن الاستغفار يدخل في معنى التوبة.

السبب الثالث: فعل الحسنات، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (هود: ١١٤).

السبب الرابع: الوقوع في المصائب الدنيوية، لقوله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نَصب ولا غم ولا همّ ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه»[1].

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معًا ـ صحيح الجامع (٥٨١٨).

كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)

السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم فى الحياة وبعد الممات.

السبب العاشر: ما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمسكنه كان له فى الدنيا»[1].

السبب الحادى عشر: ما يُهدى للعبد المؤمن من ثواب صدقة، أو قراءة أو حج أو نحو ذلك.

* خطبة إبليس فى النار

وأخيرًا أخى الكريم.. وأختى الفاضلة: فإنى أختم لكم تلك المشاهد التى لا تنتهى ولا تُعد ولا تُحصى، ولكن خشية الإطالة أردت أن أكتفى بتلك المشاهد.

ولم يبق معى سوى هذا المشهد الأخير ألا وهو خطبة إبليس فى النار لأهل النار.

---

(١) سبق تخريجه.

فإنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وإذا دخل أهل النار النار، فإن إبليس يقوم فيخطب فيهم تلك الخطبة المشهورة التى سطّرها القرآن على صفحاته فى سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

فيا له من مشهد تكتمل به الحسرات.

وهنا نعلم أن من رحمة الله جل وعلا، بل من كمال رحمته أنه أخبرنا بهذا المشهد فى كتابه وبغيره من المشاهد لكى نحذر من الوقوع فيها، إلا أن الكثير من بنى جلدتنا ما زالوا يخوضون مع الخائضين بعد أن اغتروا برؤية أكثر الناس، وقد سلكوا طُرق الضلال، ولذا يقول الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ

(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر: ٣٨: ٤٥).

أى كلما غوى غاوٍ غوينا.

ومن هنا كان لزامًا على كل مسلم أن يسعى لفكاك رقبته من النار، وأن يسعى ويُسرع الخطا إلى الله ممتثلاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: ٨٤).

*** هيا إلى شاطئ الطاعة وخل بحر الذنوب**

وبعد أن عشنا سويًا فى تلك الرحلة مع مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة، وتحدثنا عن بعض الذنوب التى تجلب تلك الحسرة «وليس هناك ذنب صغيرًا كان أو كبيرًا، إلا كانت الحسرة ملازمة له»، بقى لنا أن نعرف شيئًا واحدًا ألا وهو أنه لا يعصمنا من تلك الذنوب والمعاصى، ومن تلك المشاهد إلا أن نحقق العبودية لله جل وعلا؛ لأن من حقق العبودية فإنه يعيش فى ظل العناية الإلهية فيوفقه الله إلى كل خير، ويصرف عنه كل سوء، كما قال فى حق نبى الله يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، بل يعينه على تحقيق تلك العبودية بأن يحفظ عليه جوارحه فلا يحركها إلا فى طاعة الله، كما قال الحق جل وعلا: «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينَّه، وإن استعاذنى لأعيذنه»[١].

ولابد أيضًا أن نجاهد أنفسنا فى الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

واحرص يا أخى الحبيب على أن تكون دائمًا على طاعة الله، فإنما الأعمال بالخواتيم، وكما قال النبى ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[٢].

وزاد الإمام البخارى: «إنما الأعمال بخواتيمها».

واعلم يا أخى أننا لا نقنّط أحدًا من رحمة الله، فباب التوبة

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ــ باب التواضع ــ كتاب الرقاق.
(٢) متفق عليه عن سهل بن سعد ــ صحيح الجامع (١٦٢٤).

مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح.

فها هى كبائر الذنوب يفتح الله أبواب التوبة لكل من ارتكبها لكى يتوبوا ويعودوا إلى الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله جل وعلا فتح لهم باب التوبة فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣: ٣٤).

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، . . . هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها فى النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون فى النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم

باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠)، فقوله تعالى: ثم لم يتوبوا يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: ٦٨: ٧١).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويُقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ

خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (مريم: ٥٩: ٦٠).

ومع كل هذه الأمثلة التى تُثلج الصدور لسعة رحمة الله جل وعلا إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٨).

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله عظيم.

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١٥)

* خلِ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُقى

* واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

* لا تحقرنَّ صغيرة.. إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار فى هرة.

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(١).

فالشاهد أن الله عز وجل قد أمر ملائكته أن تكتب كل ما يصدر عنك خيرًا كان أو شرًا ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

فهيا بنا نُقلع عن المعاصى ونبدأ صفحة جديدة مع الله جل وعلا، طامعين فى رحمته، راجين موعوده: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

وهيا بنا نتواعد على طاعة الله ليكون موعدنا فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحتى ننعم برؤية وجه الله عز وجل، ونكون فى صحبة نبينا ﷺ.

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ــ صحيح الجامع (٣٣٧٤) الصحيحة (٢٨).

والله أسأل أن ينفعنى وإياكم بتلك الكلمات التى خرجت من قلب يرجو الخير لكل المسلمين، . . . . ووالله ما من يوم يمر عليَّ إلا وأنا أدعو فى صلاتى لكل مسلم، حيًا كان أو ميتًا، راجيًا من الله أن يجمعنى وكل المسلمين مع نبينا ﷺ فى جنة الرحمن، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وأسأله تعالى أن يرد المسلمين إليه ردًا جميلاً، وأن يعز الإسلام وأهله، وأن ينصر المسلمين فى كل مكان.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود المصرى

(أبو عمار)

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: جزى الله خيرًا من أعان على نشر هذا الكتيب وتوزيعه ابتغاء وجه الله، فهذا الكتيب وقفٌ لله لمن أراد أن يطبعه بقصد توزيعه على المسلمين أو حتى بقصد التجارة وليتق الله فلا يغال فى ثمنه.

محتويات الكتاب